المعترف برحمة ربه، يطلب الزيادة في ملكه، ولكن هذا الملك الصدّيق بعدما يعترف بالعطية الإلهية كنعمة دنيوية:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ وبأحرى هي نعم العلم النبوة: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ﴾ عطفاً بهما إلى عطفه ولطفه لأنه ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ واعترافاً بولايته المطلقة عليه: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۖ﴾ فأنت المدبر أمري فيهما، ليس لي إلا ما دبرت وقدرت، دون أن أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فأنت أنت الولي لا ولي سواك، وأنا العبد المولّى لك لا أعبد سواك.

بعد ذلك كله لا يطلب منه إلا إسلاماً في الدنيا وصلاحاً في الآخرة: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ والتوفي هو الأخذ وافياً على أية حال، في الدنيا وحين الموت وفي الآخرة حالكوني «مسلما» كما طلبه أبي إبراهيم:

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[1] وأنا من ذريته، وذلك الإسلام هو مرتبة بعد كمال الإيمان، دونما كان قبل الإيمان أو معه، فإنما الإسلام الخالص الناصع بقمته العليا، فخذني وافياً بإسلام ﴿وَأَلْحِقْنِي﴾ هنا وفي الآخرة ﴿بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهذا من غاية التواضع عند الله أن صالحاً كالصديق يطلب منه إلحاقه بالصالحين وهم - بطبيعة الحال - من هو أصلح منه في مثلث الزمان، فلم يكن الصديق يطلب هنا موته كما يقال، فإن حياة الرسول نعمة له وللمرسل إليهم، ولم يكن سؤاله في توفيه مسلماً إلا تثبيتاً له في إسلامه طول خط الحياة حتى الممات، لا أني مسلم فتوفني موتاً، ولا اجعلني مسلماً حين أموت، ولا أن أحداً من الأنبياء لم يسأل الموت إلا يوسف! حيث يسأله كل الصالحين: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

ٱلْأَبْرَارِ﴾[١] ﴿. . . رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ. . .﴾[٢] فحتى إذا كان ذلك سؤالاً للوفاة فليس إلّا لأجله المسمى، أن يكون حال الإسلام، استمرارية لحد الوفاة.

ولقد وردت روايات أن يوسف عليه السلام عاش بعد لقياه ردحاً كثيراً من الزمن[٣] وقد تشير له الآية: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾[٤] فليعش يوسف في بني إسرائيل فترة حتى يصدق «ولقد جاء» وليس ذلك إلا منذ ذلك اللقيا لفترة طائلة تناسل فيها آل إسرائيل، أم بعد وفاة يعقوب[٥]!.

أتراه - بعد - يزهو بزهوة الدنيا وزهرتها لحد ينسى أبويه فلا يترجل لهما أن دخله عز الملك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢٦.

(٣) نور الثقلين ٢: ٤٧٣ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة، بإسناده إلى محمد بن جعفر عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: عاش يعقوب بن إسحاق مائة وأربعين سنة وعاش يوسف بن يعقوب عليه السلام مائة وعشرين سنة، أقول أكثر ما كان في بيت العزيز وفي السجن وفي ملكه قبل لقياه بابويه عشرون وكان قبله مراهقاً دون تكليف زهاء تسعة إلى ثلاثة عشر فذلك دون الأربعين فيبقى ثمانون وكما في المجمع في كتاب النبوة بالإسناد إلى محمد بن مسلم - إلى قوله - وبالإسناد عن أبي خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل يوسف السجن وهو ابن اثني عشرة سنة ومكث فيه ثماني عشرة سنة وبقي بعد خروجه ثمانين سنة فذلك مائة سنة وعشرين سنين.
أقول: ليس دخوله السجن إلا بعد بلوغه الحكم وبالإمكان كونه الثاني عشر من عمره.

(٤) سورة غافر، الآية: ٣٤.

(٥) مجمع البيان في كتاب النبوة بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له: كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر؟ قال: عاش حولين قلت: فمن كان الحجة لله في الأرض يعقوب أم يوسف؟ قال: كان يعقوب وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت إلى أرض الشام فدفن في بيت المقدس فكان يوسف بعد يعقوب الحجة قلت: فكان يوسف رسولاً نبياً؟ قال: نعم أما تسمع قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ. . .﴾ [غافر: ٣٤]؟ . .

ومما يحير العقول نقل هذه الأحاديث الزور من المختلقات الإسرائيلية في جوامعنا الروائية والتفسيرية دون نقد، ويكأنها هي الأصل وكتاب الله هو الفرع، فإذا ورد حديث في شيء لا يسأل عن آيته وإن كان ضعيفاً فضلاً عن صحته في سنده، وإذا وردت آية يسأل عن حديثها الذي يفسرها، فإن لم يرد حديث يبطل معنى الآية! وإن ورد ولا سيما بسند صحيح - فهو الذي يفسر الآية وإن كان خلاف ظاهرها أو نصها، وهذا هو التعامي عن أصالة الكتاب إلى أصالة الحديث، وذلك ترك للأصلين وهجر للقرآن وفيه ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[1] والآن كما كان وعلى طول الخط في التاريخ الإسلامي مما سبب اختلاف المذاهب واختلاق البدع الجارفة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قصصنا عليك هو ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ فالتوراة ينقله محرفاً منكوساً، والأحاديث - إلّا ما وافق القرآن - تأتي به مندرساً مركوساً.

وأما أنت يا رسول الهدى ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ الأمر في الصديق ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ ماذا يفعلون، وليكونوا من بعده قوماً صالحين.

هكذا يقص الله من أحسن القصص في يوسف وإخوته آيات للسائلين، فما صار بعد العزيز وامرأته والملك بعدما أصبح يوسف هو العزيز بل والملك؟ لا ندري إلا ما تدرينا أحاديث حول امرأة العزيز ومنها ما يروى عن باقر العلوم عليه السلام قال: لما أصابت امرأة العزيز الحاجة قيل لها لو أتيت يوسف بن يعقوب عليه السلام فشاورت في ذلك فقيل لها: إنا نخافه عليك قالت: كلا إني لا أخاف من يخاف الله فلما دخلت عليه فرأته في ملكه قالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته، وجعل الملوك عبيداً بمعصيته

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

فتزوجها فوجدها بكراً فقال: أليس هذا أحسن؟ أليس هذا أجمل؟ فقالت: إني كنت بليت منك بأربع خصال: كنت أجمل أهل زماني، وكنت أجمل أهل زمانك وكنت بكراً وكان زوجي عيّناً»[(١)].

وليس بذلك البعيد أن يتزوجها يوسف تركيزاً لركيزة الإيمان في قلبها

(١) نور الثقلين ٣: ٤٧٣ ج ٢١٩ في آمالي شيخ الطائفة بإسناده إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: . . .

أقول وفيه ٤٧١: ٢١٧ في كتاب علل الشرائع بإسناده إلى عبد الله بن المغيرة عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: استأذنت زليخا على يوسف فقيل لها: أنا أنكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه قالت: إني لا أخاف من يخاف الله فلما دخلت قال لها: يا زليخا ما لي أراك قد تغير لونك؟ قالت: الحمد الله الذي جعل الملوك بمعصية عبيداً وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً فقال لها: ما الذي دعاك إلى ما كان منك قالت: حسن وجهك يا يوسف فقال: كيف لو رأيت نبياً يقال له محمد صلى الله عليه وآله يكون في آخر الزمان أحسن مني وجهاً وأحسن مني خلقاً وأسمح مني كفاً؟ قالت: صدقت قال: وكيف علمت أني صدقت؟ قال: لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي فأوحى الله عزوجل إلى يوسف إنها قد صدقت وإني قد أجبتها لجمها محمداً فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوجها.

فيه ج ٢١٨ في تفسير القمي حدثني محمد بن عيسى أن يحيى بن أكثم سأل موسى بن محمد بن علي بن موسى مسائل فعرضها على أبي الحسن وكان أحدها أخبرني عن قول الله عزوجل: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠] - وقد سبق صدر الحديث - قال عليه السلام ولما مات العزيز في السنين الجدبة افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتى سألت فقالوا لها: لو قعدت للعزيز - وكان يوسف سمي العزيز وكل ملك كان لهم سمي بهذا الاسم - فقالت أستحي منه، فلم يزالوا بها حتى قعدت له فأقبل يوسف في موكبه فقامت إليه فقالت: سبحان الذي جعل الملوك بالمعصية عبيداً وجعل العبيد بالطاعة ملوكاً فقال لها يوسف: أنت تيك؟ فقالت: نعم - وكان اسمها زليخا - فقال لها: هل لك فيّ؟ قالت: دعني بعدما كبرت أتهزأ بي؟ قال: لا - قالت: نعم فأمر بها فحولت إلى منزله وكانت هرمة فقال لها: ألست فعلت بي كذا وكذا فقالت يا نبي الله لا تلمني فإني بليت ببلية لم يبل بها أحد قال: وما هي؟ قالت: بليت بحبك ولم يخلق الله لك في الدنيا نظيراً وبليت بأنه لم يكن بمصر امرأة أجمل مني ولا أكثر مني مالاً فزعاً مني وبليت بزوج عنين فقال لها يوسف: فما تريدين؟ فقالت: تسأل الله أن يرد علي شبابي فسأل الله فرد عليها شبابها فتزوجها وهي بكر.

ولأنها - على خيانتها - صدقته أمام نسوة في المدينة وأمام الملك: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[1] ولا بد لها من يد بيدها ولا سيما حين اليأس والإياس ولات حين مناص، فتجد عند من خانته الخلاص فتؤمن بالله بكل إخلاص!

(١) سورة يوسف، الآية: ٥١.

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾:

هذه هي الشيمة الشنيعة لأكثر الناس لأنهم لا يحنون إلى إيمان، حال أنك ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾ فكيف لو سألتهم من أجر على أعباء الرسالة

الذكرى، ولو كانوا يحبونها لكانوا يقبلون إليها ويقبلونها ولو بأجر مهما بلغ به الأمر.

وقد كان رسول الهدى ﷺ حريصاً على هداهم منذ البداية حتى أشار له الوحي الحبيب: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾[1] مع العلم أنه لا يضل إلّا من يضل على عمد: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ فانحصر حرصه في المؤمنين وانحسر عن الكافرين الذين أضلهم الله بما ضلوا: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

وعلّ «لو» في آيتنا تشير إلى أنه لن يحرص بعد على هدى أكثر الناس رغم حبه هداهم، فيسلّيه الوحي الحنون: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ مما يدل على أن قصص يوسف كان مما تساءلوه فيه فأجاب الله عن سؤالهم ولكن أكثرهم لم يعتبروا بها و﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ مما يدل على أن هناك فرية الافتراء في هذا القصص كما في سواه، تعنتا عن الإيمان وتعنداً في الكفر بالإيمان ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾[3]! ثم ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ حصر للقرآن ونبيه في كيان الذكر حيث يذكّر الفطر والعقول بما له فيها كل تصديق وقبول، وتعميم لهذا الذكر المتعالي ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ ونحن نعرف منهم عالم الأنس والجن، وليكن هناك عالم أو عوالم أخرى تشملهم هذا الذكر كتكليف عام لكي يصدق ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ

(١) سورة النحل، الآية: ٣٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥.

أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[١] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[٣].

هذا و﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ نجده في (٣٨: ٨٧) و(٨١: ٢٧) ثم في (٦٨: ٥٢) ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢﴾ رسالة عالمية بكتاب عالمي في ذكرى عالمية، لا - فقط - عالم الإنس، بل ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ مجموعة عوالم التكليف، من الجنة والناس أجمعين أمن هو من العالمين؟.

وهذه الأكثرية غير المؤمنة هي المعرضة عن الآيات الآفاقية كما الأنفسية فأنى لها الذكرى بعد هذه التعمية:

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾:

وترى تلك هي آيات في الأرض يمرون عليها حيث هم ساكنوها وعائشوها، فما هي آيات في السماء يمرون عليها وهم بعيدون عنها، وليست رؤيتها من بعد بعيون مجردة أم ومسلحة مروراً عليها، وإنما هي نظرة إليها؟

علّ المرور هنا تعني فيما عنت مرورات على آيات السماء بأسفار فضائية، مروراً عليها بأبصار وبصائر، وتعرفا إليها بآثارها وخواصها الرائعة، ولكنهم يبصرون إليها فتعميهم، دون أن يبصروا بها فتبصّرهم، وذلك هو إعراضهم عنها كآيات تدل على بارعها.

فاعل ﴿يَمُرُّونَ﴾ هم الأكثرية الذين لا يؤمنون، والآيات الأرضية أعم

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ١.

من الظاهرة لكل أحد، والباطنة التي يستبطنها ويستنبطها أهلوها من علماء ومخترعين ومكتشفين في مثلث الزمان، فتشمل المكتشفات الذرية وما فوق الذرية أماهيه مما هي مخبوءة في الأرض ظاهرها وباطنها وجوهاً الذي يخصها، فكل هذه من آيات الأرض التي ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ كذ رائع لحيونة الحياة ورياحتها ﴿وَهُمْ عَنْهَا﴾ كآيات تدل على بارئها وبارعها ﴿مُعْرِضُونَ﴾ والإعراض هنا لمحة لامعة أن هذه الآيات بطبيعة الحال لها دلالات بارعة، ولكنهم يعرضون عن دلالاتها إلى دلالاتها والحاجيات الحيوانية التي يقصدونها منها.

ثم الآيات السماوية لهم عليها مرورات ثلاث في مثلث الزمان، مروراً بالعيون المجردة كما كان زمن نزول القرآن وحتى ردح بعيد من الزمن، ثم مروراً بالعيون المسلحة بالعدسيات القوية التي تريهم أجراماً سماوية بفواصل هائلة في ملايين السنين الضوئية، كما حصل منذ زمن غير بعيد.

ومن ثم مروراً بالاسفار الفضائية بالصواريخ والسفن الفضائية التي حلّقت على كرات كالقمر والزهرة أماهيه، وكما صعدت جماعة كافرة فنزلت على القمر فصعّدت نكرانها لوجود الله في قالة لبعضهم: لم نجد الله هناك فأين هو حين لا يرى في أرض ولا في سماء؟.

وقد تعني آية النظر فيما تحتدى ما تعنيه آية المرور: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[1] وأقرب النظر هو الأقرب في المنظر وليس إلا في غزو الفضاء كما غزوا ولكنهم ﴿قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ثم المؤمنون لما يغزوا ليقضوا ما عليهم[2].

(١) سورة يونس، الآية: ١٠١.

(٢) راجع تفسير آية الشورى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشّورى: ٢٩] وآية الرحمن: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٣٣].

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾:

آية فريده منقطعة النظير في سائر القرآن تجمع بين الشرك والايمان، وترى كيف يجتمع الشرك مع الإيمان ولا يجتمع مع الإسلام الذي هو قبل الإيمان، ولا سيما الإسلام الذي يوافق ولا ينافق كما ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾[1]؟

قد يجمع بينهما أن الإيمان درجات كما الشرك دركات، فالإيمان المطلق الذي لا يمازجه أي شرك هو القمة العليا بأعلى عليين، وبعده مطلق الإيمان حيث يمازجه أي شرك، والشرك المطلق أم نكران وجود الله تعالى الذي لا يمازجه أي ايمان وهو بأسفل سافلين، وبعده مطلق الشرك حيث يمازجه أيّ إيمان إلّا الإيمان المطلق، فمطلق الإيمان ومطلق الشرك هما بدرجات ودركات متوسطات بين الإيمان المطلق والشرك المطلق، وقد تعني الآية من الإيمان مطلقه لا الإيمان المطلق، ومن الشرك مطلقه لا الشرك المطلق، وبذلك يجتمع الشرك والإيمان.

فالإيمان بوجود الله يقابله الإلحاد به بنكرانه وهو الكفر المطلق، والإيقان بوجود الله فالإيمان به يجتمع مع كافة دركات الشرك، في ذاته، وصفاته، وأفعاله، في خالقيته، ومعبوديته، وآثاره، في عبوديته وبعبادته، وفي طاعته، في الاتجاه المطلق إليه علماً وعملاً وعقيدة ونية أما هيه.

فكل درجة من درجات التوحيد تقابلها دركة من دركات الشرك.

وعلّ ﴿أَكۡثَرُهُمۡ﴾ في الآية هم من الأقلية المؤمنة، حيث ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ ثم الأقلية المؤمنة بوجوده أو الموحدة له: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ حيث يتدسس الشرك في صورة من صوره أم صور منه إلى علومهم وحلومهم وعقولهم وأفكارهم

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.